ثالثاً:- الدولة العامرية (الحجابة) (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)[١]

توفي الخليفة الحكم المستنصر سنة (٣٦٦هـ) وتولى مكانه ولده هشام المؤيد على الرغم من صغر عمره (١٢ سنة)، ولهذا ظهر اختلاف في الرأي فمن يتولى الخلافة، ولم يلبث هذا الخلاف أن أدى إلى ظهور أحزاب ما بين مؤيد ومعارض لخلافة هشام وآخر لا مبالي وكانت تولية هذا الطفل للعرش الأموي في الأندلس غلطة كبيرة وقع فيها الحكم المستنصر لأنه ولاه الخلافة على الرغم من وجود أخوته المؤهلين لمثل هذا المنصب.

وفي النهاية انتصر حزب السياسيين على حزب العسكريين من أمراء الصقالبة، ويقود حزب السياسيين محمد بن أبي عامر المعافري حيث فرض الوصاية على الخليفة الطفل، الذي لم يبق له من سلطات الخلافة غير الاسم، وانتقل حكم الدولة في الحقيقة من الأسرة الأموية إلى الأسرة العامرية المتمثلة بالوالد محمد بن أبي عامر المعافري والملقب المنصور وولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شخول الذي استمروا حتى سنة (٣٩٩هـ) وبعدها ظهرت الفتنة الكبرى التي أدت إلى إلغاء الخلافة الأموية نهائياً سنة (٤٢٢هـ).

ومن هنا يمكن القول أن حكم بني أمية للأندلس ينتهي بوفاة الحكم المستنصر سنة (٣٦٦هـ) ليبدأ عهد جديد هو (الدولة العامرية) الذي أخذت شرعيتها من حماية الخليفة هشام المؤيد والحكم باسمه.

استطاع المنصور بن أبي عامر أن ينفرد بالسلطة في الأندلس من خلال استحواذه على الأمور وعزل الخليفة هشام المؤيد الذي لم يبقى له في الحكم غير الاسم وأصبح محمد بن أبي عامر الذي شغل منصب الحاجب (رئيس الوزراء) في عهد الخليفة الحكم المستنصر هو الحاكم الفعلي بعد أن نجح في القضاء على منافسيه من أفراد الأسرة الأموية ومن رجالات الدولة البارزين والقوى المعادية له في البلاد، متبعاً سياسة التفرقة وتحريض البعض على البعض الآخر، وحبك الدسائس والمؤامرات مع كسب ود الفقهاء ونساء القصر.

وبعد أن صفى له الجو ودانت له الأمور تلقب بالمنصور وبذلك يقول ابن الخطيب في كتابه أعمال الإعلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)[٢] "كان بن أبي عامر آية في الدهاء والمكر والسياسة عدا لمصحفي على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصحفي حتى قتله ثم عدا بجعفر بن علي من الأندلس على غالب حتى استراح منه ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه. ثم أنفرد ينادي

(١) علي أدهم، منصور الأندلس، القاهرة ١٩٧٠؛ الحاجب المنصور، بسام العسلي، بيروت ١٩٨٠.
(٢) انظر ص٥٩.

صروف الدهر: هل من مبارز فلما لم يجده حمل على حكمه، ما نقاد له وساعده واستقام له أمره منفرداً بسابقة لا يشاركه فيها غيره".

وبعد انفراده بالسلطة، وليكسب شعبية كبيرة وجه نشاطه إلى جهاد الممالك المسيحية في الشمال الإسباني، فأخذ بغزوهم بنفسه بالصوائف والشواتي، وتقول المصادر التاريخية أنه غزاهم سبعا وخمسين غزوة رغم مرضه بعلة النقرس (داء الملوك).

وسار في سياسته في المغرب على نفس سياسة الناصر والمستنصر التي تقوم على ضرورة الاحتفاظ بهذه العدوة (ضفة المغرب الإسلامي) تحت السيطرة الأموية لتكون خط الدفاع الأمامي ضد الخطر الفاطمي، ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً بعد اصطناع زعماء قبيلة زناته وسنتحدث عن بقية أعماله وولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول في موضوع أهم الأحداث في الدولة العامرية.

توفي المنصور بن أبي عامر في رمضان سنة (٣٩٢هـ) عن عمر ٦٥ سنة بعد أن تولى الحكم حقبة تقارب ٢٥ سنة كانت في بعض جوانبها استمراراً لعصر الخلافة الأموية (عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر) وخاصة في ضبط الأمن والقضاء على الفتن داخل البلاد وغزواته ضد الممالك الإسبانية في شمال إسبانيا[1].

تولى الحكم بعده ابنه عبد الملك المظفر سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م حيث ورث كثيراً من صفات أبيه، كالشجاعة والكفاءة الإدارية والبراعة السياسية والحزم وصلابة الإرادة، وكانت سياسته امتداداً لسياسة أبيه في مختلف النواحي، فقد استهل عهده بالقضاء على حركة قام بها الفتيان الصقالبة الذين استغلوا وفاة المنصور لإستعادة نفوذهم القديم، ثم أتبع نفس سياسة أبيه الجهادية ضد النصارى الإسبان الذين تنفسوا الصعداء حين توفي المنصور وأخذوا يعتدون على مناطق الثغور، فغزاهم سبع غزوات، وأوغل في أراضي برشلونة وقشتالة حتى أجبرهما على طلب الصلح المهادنة فعقده لهما، الأمر الذي جعل ملكيها يعترفان بقوة سلطانه، وليس ذلك فحسب، بل يحتكمان إليه في ما نشب بينهما من خلافات، كما سار على نفس سياسة أبيه الحازمة في العدوة المغربية، مما جعل زعماء قبائل زناته يستمرون في الخضوع له، الأمر الذي جعل الزنتانيين يصبحون من رجالاته فالحق أعداداً غفيرة منهم في جيشه جرياً على سياسة أبيه في إصطناع البربر، كما كافأ (المعز بن زيري بن عطية المغراوي الزناتي) ابن خصمه القديم، بأن ولاه على ممتلكات الأمويين في العدوة المغربية بدلاً من قائده (واضح الصقلبي) الذي استدعاه إلى الأندلس لحاجته إليه في مشاريعه الجهادية، واصطنع عبد الملك المظفر كذلك بني زيري بن مناد الصنهاجي وهو من حُكام الدولة الزيرية المتولية الإفريقية والمغرب للفاطميين أعداء الخلافة الأموية في الأندلس، فوفد إلى الأندلس بعض أمراء هذا البيت زاوي بن زيري فأكرمهم وأنزلهم بنواحي غرناطة فاستقروا فيها.

---

(1) وقد كتبوا على قبره: آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه، تالله لا يأتي الزمان بمثله ابداً، ولا يحمي الثغور سواه.

عندما توفي الحاجب عبد الملك المظفر سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٩م) بالذبحة الصدرية في طريق عودته إلى قرطبة من غزوة كان قد غزا فيها إمارة قشتالة بعد حكم لم يستمر أكثر من سبع سنوات، فقام بالأمر بعده أخوه الحاجب عبد الرحمن المعروف بلقب (شنجول) لشبهه الكبير بجده شانجه من أمه وهو أحد الملوك الإسبان الذي حاول أن يرضي المنصور بن أبي عامر فأكرمه ابنته فتزوجها الحاجب المنصور وقتئذ فولدت له عبد الرحمن الذي أصبح الآن حاكم الأندلس.

كان الحاجب عبد الرحمن شنجول شاباً طائشاً مغروراً بنفسه، فاساء التصرف، وأنفق الأموال في غير وجهها ونسبت إليه أباطيل من القول والفعل، حتى كرهه الناس، وليس ذلك فحسب، وإنما سلك سلوكاً مغايراً لمسلك أبيه وأخيه مع الخليفة الأموي هشام المؤيد، ذلك انهما اكتفيا بالقبض على زمام السلطة الفعلية أي السلطة الزمنية، وتركا لهشام السلطة الروحية بوصفه الخليفة، وكانا يديران دفة الحكم باسمه، أما شنجول، فطمع في هذه السلطة الروحية التي بقيت لهشام، وأراد أن يستأثر بها هي الأخرى لنفسه، أي طمع في الخلافة ذاتها، لذلك ولعلمه بأن هشاماً كان طيباً لا يرد طلباً، فضلاً عن أنه كان مغلوباً على أمره، فقد طلب منه شنجول أن يعهد إليه بولاية العهد، فوافق هشام على ذلك، وكتب له عهداً بولاية العهد وتلقب بالمأمون، الأمر الذي أغضب أراء البيت الأموي، فأحتجوا على شنجول وحتى على الخليفة هشام لأنه أطاعه في هذا الأمر، وهكذا حفر شنجول قبره بيده، إذ أن فكرة إغتصاب الخلافة من البيت الأموي في حد ذاتها كانت وحدها كفيلة بإثارة أهل الأندلس عليه، وكانت نتيجة هذا التصرف الأخرق وبالاً عليه بطبيعة الحال لم يكن في حسبانه، إذ لم يلبث أهل قرطبة انتهزوا فرصة مغادرته مدينتهم في طريقه لغزو النصارى في الشمال وأعلنوا الثورة عليه في سنة ٣٩٩هـ ولم يكن قد تجاوز طليطلة بعد، ودعمت القبائل المضرية بني أمية الذين كان بدورهم يساندون هذه الثورة التي تزعمها الأمير الأموي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر والذي خلع هشام المؤيد وأعلن نفسه خليفة وتلقب بالمهدي، وحينما علم الحاجب شنجول بما جرى عاد إدراجه ليقضي على هذه الثورة ولكنه حينما أقترب من قرطبة تفرق عنه جنده من البربر ثم قتل بعد ذلك، وبمقتله أنقضى عهد الدولة العامرية لتشتعل في الأندلس نار الفتنة الكبرى، والذي كان تصرفه الغير مسؤول السبب المباشر في إشعالها، والتي كانت لها نتائج سلبية بعيدة المدى كما سيأتي ذكره[1].

---

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٠٧-٤١٣.